تطوير التعليم والمؤسسات التعليمية

د. مصطفى الزائدي
كلية الطب – جامعة الفاتح

من أهم سمات المجتمعات الحديثة التطور الهائل في التعليم .. الذي أدى إلى نهضة تكنولوجية متسارعة وغير منتهية .. ساهمت في تطور التعليم وهكذا التعليم يقود إلى التطور التقني والتطور التقني يطور التعليم .. حتى أن عالم اليوم يقوم على المعلومات والمعارف ونقلها والتعامل معها .. ولقد تمكنت ليبيا بفعل الثورة أن تدخل التعليم وتساهم في ديناميكية وتحول الليبيون من شعب أمي عام 1969 ف إلى شعب يقع في مقدمة الشعوب المتعلمة .. والتعليم في ليبيا مر بمراحل عدة :

1- محاربة الأمية .. ونشر تعليم الأطفال .. والترويج لأهمية التعليم في التطور الاجتماعي .. وربط النهضة الاقتصادية بالتعليم .

2- التوسع في التعليم النوعي .. من خلال دمقرطة المؤسسات التعليمية ونشرها على نطاق واسع .. حتى أنه في ليبيا ينذر وجود عائلة ليبية ليس من بين أفرادها عدد من الجامعيين .. وهذا فرض في وقت ما إرسال أعداد من

الطلبة الليبيين للتعلم بالخارج لعدم وجود إمكانات علمية كافيـة لاسـتيعاب المجموع المقبل على التعليم النوعي في الداخل .

3- التوسع في المراكز البحثية واقتحام مجال التعليم المستمر من خـلال ربـط موضوعي لمؤسسات التعليم ومراكز البحث الأمر الذي أدى إلى إقحام أعداد متزايدة من الخريجين والمعلمين الجامعيين وغيرهم في مؤسسـات البحـث العلمي المتعددة ..

ومع أن كثير من السطحيين الذين ينتقدون النظام التعليمي الليبي وانتشاره الأفقي وكثرة الخريجين وحجم الإقبال على مؤسسات التعليم الجامعي والعالي .. منطلقين من نظرة رجعية لمجتمع هرمي .. تتربع على قمته نخبة تحتكر المعرفة ويقبع في قاعه كثرة أمية جاهلـة تنظـر الـرأي والمشـورة .. إلا أن آليـات واستحقاقات النظام الديمقراطي تتطلب نشر قاعدي متوازي للمعرفة وإن كانت لا تلغي التخصص بل تعززه .. ومع ذلك فإن التعليم في ليبيا يحتاج إلى مراجعـة مستمرة حتى يتمكن من مواكبة التطور الهائل في العلوم والمعارف .. علـى أن تكون مراجعة من منظور ثوري تقدمي .. يتخيل المستقبل ويتعامل معه ولا تبقى حبيسة لظروف معاشة .. وأن يترك العنان للخيال الثوري يفعل فعله لينتج نظام تعليمي يواكب طموح الثورة بنفس الدرجة التي يواكب بها التطور التكنولـوجي على المستوى العالمي ويمكن الانطلاق في النظر بجدية لطرح مشروع ثـوري للتعليم يستند إلى الآتي :

1- حق الجميع المتساوي في تعليم المعارف المناسبة وفق قـدراتهم .. وعـدم فرض إجراءات تؤدي إلى نوع من الجبرية في التعليم واختيار العلوم .. وقد تكون تلك الإجراءات نتيجة لنظام تمويل التعليم كأن يصبح التعلـيم بمقابـل

مباشرة من الأفراد يتمكن القادرون على الصرف على أبنائهم لتعلم ما يعجز الذين لا يمتلكون الإمكانات المادية عن تعلمه .. وهذا يكرس طبقية معرفية أشد خطراً من الطبقية الاجتماعية .

2- مقاومة آلية التلقين وسلبية التعليم المتاحة والمتبعة والاستعاضة عنها بمنح الطلاب دور في ممارسة تعليمية إيجابية من خلال دفعهم للبحث والتنقيب والمناقشة حتى يتكون جدل في داخل الطالب يمكنه من الخلق والإبداع ويسمح بتطوير مضطرد للحضارة الإنسانية .

3- تطويع التقدم التكنولوجي .. وخاصة وسائل الاتصال الحديثة للمساهمة في العملية التعليمية واختراق أسطورة المؤسسة التعليمية التقليدية بطرح نماذج جديدة للتعليم .. ربما تنطلق من مشاريع منزلية التعليم ، والتعليم أثناء العمل، والتعليم المستمر وما إليها ..

4- الخروج على المناهج التعليمية المُقولبة والجاهزة لأنها تؤدي إلى خريجين في قوالب معدة مسبقاً وإفساح المجال إلى مناهج تتطور ذاتياً وبشكل مستمر تمشياً مع التطور المستمر للعلوم والمعارف .

5- طرح آليات جديدة للتعليم الذاتي والتعليم الحر .. وإيجاد مجالات للتعليم في كل المؤسسات الاجتماعية والاقتصادية وفي كل الأوقات .. وتحويل فكرة وقت الفراغ إلى وقت للتعليم .

6- الخروج العاجل على نظام التقييم التقليدي الذي يختزل تعلم المعارف في عدد من الأسئلة والإجابات يفرز على أساسها الأفراد وتتاح وفقها الفرص .. وابتداع وسائل للتقييم المستمر والمرتبط بالتعليم .. والجنوح إلى تقييم اكتساب المهارة .. وليس اتقان الحفظ والترديد .

- إن كل ذلك يعني ثورة عارمة في التعليم ستؤدي بالضرورة إلى تطور المجتمع .. ثورة تنطلق من مفهوم جديد للتعليم .. لا يستند على أن التعليم وسيلة للتمييز لكنه وسيلة للنهوض والتقدم .. إن تميز أفراد المجتمع في درجات عليا ودنيا لن يكون له موقع في مجتمعات الغد .. فالكل متعلم والكل متساوون في كل شئ .. إنما يستخدمون التعليم لتطوير أنفسهم وتطوير حياتهم .. فالتعليم وسيلة للتقدم الفردي والجمعي وليس وسيلة تميز فرد عن فرد .. هذا ممتاز .. وذلك ضعيف جداً .. إن تلك عقلية رجعية ستوصف بالسخف والتخلف .. إن أكثر ما يدهشني وأنا أتابع بعض المناقشات حول التعليم إن كثيراً من القائمين على التعليم وخاصة الجامعي منه لازالوا حبيسي أفكار ووسائل قديمة متخلفة .. يكتفون بترديد بعض المعلومات المكررة على مسامع طلابهم ثم يطالبونهم بحفظ ذلك ويقيمونهم على ذلك الأساس .. أي مجتمع جديد سيخرج من هؤلاء .. إنهم يخرجون أناس محنطون من المقابر .. سينهارون في مواجهة أي معركة حقيقية مع الحياة .. فهل يكفي أن يبحث عن المنهج والمدرج والمعمل .. وعقلية القائمين عليها بتلك الدرجة من التخلف .

- إن الثورة في التعليم تبدأ من النفس .. وأدعو دائماً إلى حوار خارج كل الحدود وبدون جدول عمل أو أوراق معدة مسبقاً ليست سوى تجميع لأوراق عدت مسبقاً وتقدم عند الحاجة دائماً طبخة جاهزة.. حوار حول التعليم في المجتمع الجديد .. حتى يتمكن الشعب من النهوض .. وحتى نستطيع أن نقتحم التقدم .. والشعب الليبي وحده بفعل ثورة الفاتح قادر على الخوض فيما لن يستطيع أن يعمله غيره .